AFKĀR *Journal of Islamic & Religious Studies*
Volume 5, Issue 1, June 2021, PP: 19-38
E-ISSN 2616-8588; P-ISSN 2616-9223
www.afkar.com.pk; hjrs.hec.gov.pk

آيات ضراعات المؤمنين في المطالب الدنيوية (دراسة تحليلية بلاغية)

The Verses of Supplications of the Believers in Worldly Demands
(Analytical and Rhetorical Study)

Abdul Mujeeb Bassam [1*], Shair Ali Khan [2]

[1]Assistant Professor, Department of Literature, Faculty of Arabic Lang., IIU Islamabad, Pakistan
[1]Assistant Professor, Department of Translation, Faculty of Arabic Lang., IIU Islamabad, Pakistan

ABSTRACT

Allah has mentioned in several places of His book the supplications of his righteous believers, and what happened to their tongues of invocations and supplications, in order to teach them to turn to Allah and to pray to Him, and praise that befits His majesty and greatness, and these supplications included lofty meanings and demands Important and varied, in which the belief in the oneness of Allah is manifested, praising Him in what befits His majesty and greatness, and specifying Him to the request, and it also contained what is useful to the believers in their worldly and eschatological matters. Therefore, those supplications can be divided on this basis into worldly demands and eschatological demands, even if they are all of them. In the end, it aims at one goal that is evident through reading in the Qur'an to teach the believers to turn to Allah with praise, glorification, help, and guidance, as is the case in their request and supplication in Surat Al-Fatihah, and to seek refuge in their weakness and shortcomings to their Lord and their Most Merciful Creator by this, declaring their complete obedience, and pure faith, and asking Allah's forgiveness, mercy, victory and support. This article attempts to pause analytically at these verses, trying to reveal the rhetorical beauty and refined expression of the Qur'an, and present the expressive shapes that have characterized the Qur'anic style, and the subtle stylistic subtleties, and it is in an introduction that talks about the worldly demands that the believers' supplications included. In summary, it is followed by a rhetorical analysis that tries to reveal the rhetorical themes and stylistic kinds in those verses that derive from the three sciences of rhetoric: the meanings, the statement, and the style, so that the reader feels what is in the Qur'an and its style of expressive beauty, and the sophisticated linguistic style that gives the phrase an impact and grace.

***Keywords**: Sophisticated Linguistic Style, Worldly Demands, Qur'anic style.*

[*] Corresponding author's email: abdul.mujeeb@iiu.edu.pk

CC BY

مقدمة:

لقد اشتمل كتاب الله العزيز على أدعية عباده المؤمنين الصالحين في مواطن متعددة، وما جرى على ألسنتهم من الابتهالات والضراعات، وذلك ليربيهم على التوجه إلى الله تعالى، والإقبال عليه بالدعاء، والثناء والحمد اللائق بجلاله وعظمته.

وقد احتوت أدعية المؤمنين على مجموعة من المعاني السامية، ومطالب مهمة ومتنوعة، تكشف القناع عن إيمانهم بوحدانية الله تعالى، والثناء عليه بالصفات اللائقة بجلاله وعظمته، كما أنها احتوت على ما ينفع المؤمنين في أمورهم الدنيوية والأخروية، ولذا يمكن تقسيم تلك الأدعية على هذا الأساس إلى المطالب الدنيوية، والمطالب الأخروية، وإن كانت كلها في آخر المطاف ترمي إلى هدف واحد يتجلى من خلال القراءة في القرآن الكريم في تعليم المؤمنين أن يتوجهوا إلى الله تعالى، بالحمد، والتمجيد، والاستعانة، والاستهداء، كما هو الحال في طلبهم ودعائهم في سورة الفاتحة، وأن يلجؤوا بضعفهم، وقصورهم إلى ربهم الكريم، وخالقهم الرحيم، معلنين بذلك طاعتهم الكاملة، وإيمانهم الخالص، وطالبين عفو الله تعالى وغفرانه، ورحمته، ونصره وتأييده، كما هو ظاهر من تلك الأدعية الواردة على ألسنتهم في القرآن الكريم، مثل الدعاء الذي تحتوي عليه آواخر سورة البقرة [1]، والتي تشتمل الكلمات الأخيرة منها على إظهار الطاعة المطلقة، وطلب الغفران، واعتقاد العودة إلى الله تعالى، وأن الدنيا ليست إلا دار عمل، وأن الآخرة هي دار الجزاء. ومثل الدعاء الذي جرى على ألستنهم ما يتضمن الإيمان بحكمة خلق السموات والأرض، ويشتمل على الضراعة إلى الله تعالى، والابتهال إليه في أن يَقِيهم من الخزي يوم القيامة يوم العرض على الله، وذلك كدعاء أولي الألباب في آواخر سورة آل عمران.

ومن خلال الدراسة في آيات القرآن الكريم الدعائية يتجلى أن المطالب التي احتوت عليها عديدة ومتنوعة، فمنها مطالب دنيوية سعى من أجل تحقيقها المؤمنون عن طريق الدعاء، والضراعة إلى الله تعالى، والتذلل إليه، وذلك من أجل الحصول على سعادة الدنيا قبل الآخرة، والتي تعتبر هي السبيل الأوفق للحصول على السعادة الأخروية التي لا تتحقق عموما إلا لمن كان موفَّقا في تحيقيق خطته في الدنيا، من أجل نيل السعادة التي لا تتحقق إلا بتوفيق من الله تعالى، ومنها مطالب أخروية يسعى المؤمنون من أجل تحقيقها، والحصول عليها عن طريق السعي الدؤوب، والدعاء المتواصل الذي يجعل ذلك السعي ذا قيمة عند الله تعالى، لما فيه من العبودية المتمثلة في الضراعات التي يرفع فيها المؤمنون أكفهم إلى الله تعالى، في خشية وخشوع، وأمل وخضوع، عسى أن تحظى أعمالهم -التي يشوبها الكثير من صفات النقص والضعف المتأصلة في النفس البشرية- على القبول عند الله تعالى، ورضاه، وعسى أن يُجازوا بالمكافأة الكبيرة بسبب أعمالهم الصغيرة.

التمهيد:

ومن خلال تتبع آيات الدعاء في القرآن الكريم يتضح أن معظم الأدعية التي تقدم بها المؤمنون إلى الله تعالى من أجل تحقيق أهدافهم ومطالبهم الدنيوية تدور حول مجموعة من المعاني السامية، والأهداف النبيلة، والمطالب العظيمة، مثل: طلب النصرة، وطلب النجاة من الظلم وأهله، وطلب التوفيق للشكر على النعمة، والقيام بالعمل الصالح، وطلب تثبيت الأقدام، وطلب الذرية الصالحة، وطلب الوفاة على الإسلام، والتوحيد، والإيمان، وطلب الهداية، والتوفيق إلى اختيار السبيل الموصل إلى الله تعالى، وفيما يلي سنقتصر على دراسة بعض تلك المطالب السامية.

فمن أمثلة طلب النصرة، والانتصار على أعداء الله –تعالى- الظالمين ما نقرأه في أواخر سورة البقرة من قوله تعالى: (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) [2]، وقوله تعالى: (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)[3]

ومما جاء لطلب النجاة من الظالمين ما جرى على لسان المؤمنين في قوله تعالى: الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا [4]، وما جرى على لسان أتباع موسى -عليه السلام- في قوله تعالى: (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ) (5)، وما جرى على لسان امرأة فرعون في قوله تعالى: (إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)[6]

ومما ورد من طلب الشكر على النعمة، والتوفيق إلى العمل الصالح هو ما جرى على لسان المؤمن في قوله تعالى: (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [7]. ومن أمثلة طلب ثبيت الأقدام ما ورد على لسان أتباع طالوت من المؤمنين في قوله تعالى: (رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [8]، ومنه أيضا قوله تعالى: (وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) [9]

ومما جاء من الأدعية لطلب الوفاة على الإسلام قوله تعالى: (وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ۚ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ) [10]، وقوله تعالى: (رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) [11]

ومن دعاء طلب الذرية والصلاح فيها ما ورد ضمن صفات عباد الرحمن الذين وصفهم الله تعالى بمجوعة من الصفات الطيبة الحسنة ما في قوله تعالى: (وَ الَّذِيْنَ يَقُوْلُوْنَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ اَزْوَاجِنَا وَ ذُرِّيّٰتِنَا قُرَّةَ اَعْيُنٍ وَّ اجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِيْنَ اِمَامًا) [12]

ومن دعاء المؤمنين ما جاء لطلب تأخير الأجل عند رؤية الموت، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: (وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ)[13].

ومن الاستهداء، وطلب التوفيق إلى الصراط السويّ الموصل إلى الله تعالى ما ورد في مستهل كتاب الله تعالى من دعاء المؤمنين في قوله تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) [14]، وقد اعتبرت سورة الفاتحة كلها دعاء ينقسم إلى نوعين هما: دعاء ثناء، وهو يبدأ من بداية السورة في قوله تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [15]، ودعاء طلب، وهو يبدأ بعد تلك الآيات مباشرة بقوله تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) [16]. وممن الملاحظ في ذلك أن الثناء تقدم على دعاء الطلب، ومن المعروف أنه أدعى للإجابة، إضافة إلى أنه مظهر من مظاهر التناسق بين المعاني الواردة في القرآن الكريم:

الدراسة والتحليل:

من المتفق عليه أن القرآن الكريم هو المثل الأعلى المعجز لبلاغة الكلام، ومرجع ذلك إلى الدقة في ملائمة الألفاظ للمعاني، ومدى القدرة على توظيف المباني لتجلية المعاني، وإبرازها في الصورة المطلوبة، خاصة وأن صور الكلام

تتعانق مع المعاني والأغراض، وتتلاءم على وجه معجز لا يطمح إلى آفاقه إلا فحول البلغاء. وإن أول سورة في القرآن الكريم وهي سورة الفاتحة تحتوي بشكل عام على براعة الاستهلال للقرآن الكريم كله.

النكات البلاغية:

ومن أوائل ما يلقانا من الطرائف البلاغية فيها –بعد البسملة- هو ما يُلاحظ من استخدام كلمة (الحمد) بدلا من (الشكر) مثلا، وذلك لأن الحمد أعم من الشكر في أن الثاني قد يُتوجه به إلى الحيّ وإلى غير الحيّ، أما الحمد فلا يكون إلا للحيّ، كما أنه (الحمد) يختلف عن (المدح) في أنه قد يكون قبل الإحسان كما هو متعارف عليه بين الشعراء في مدائحهم لممدوحيهم يبتغون بها عطاياهم ومكافآتهم، وقد يكون بعد الإحسان ووصول العطايا إليهم. بينما الحمد لا يكون إلا عن إحسان وقع بالفعل، إضافة إلى أن الحمد يختلف عن الشكر في أنه يكون عن إحسان وقع للشاكر نفسه، وأما الحمد فأعم من أن يكون عن إحسان وقع للحامد أو وقع لغيره، فكأن الحمد حق ثابت لله تعالى يجب على كل واحد القيام به أداء لحق نعمه التي لا تُحصى. فالتعبير بـ(الحمد لله) يعطي معنى الثناء على الله تعالى بسبب كل إنعام صدر منه ووصل إلى غيره. أما (الشكر لله) فيُفيد معنى الثناء على الله تعالى بسبب إنعام وصل إلى ذلك القائل، وبالتالي لا شك أن التعبير الأول (الحمد لله) أبلغ، وأقدر على تأدية المراد في مقام كمقام الدعاء، فكأن من صدر من الحمد يقول لمولاه الرحيم، وربه الكريم : سواء أعطيتني أو لم تعطني؛ فإنعامك واصل إلى كل العالمين، وأنت مستحق للحمد العظيم[17].

دلالة الألفاظ والتراكيب، وتناسقها:

ومن المعلوم أن القرآن الكريم يراعي الدقة عبر مستوياته المختلفة في اختيار الألفاظ المفردة، ووضعها في التركيب، إضافة إلى دقته الفائقة في نظمها وبنائها، وذلك لأن الدلالات المطلوبة لا يمكن الوصول إليها من خلال هذه الدقة المحيرة للعقول، ومن هنا كانت التركيبة القرآنية فريدة من نوعها، يستحيل أن يسد مسدها غيرها من التراكيب الأخرى، ومن شواهد هذا الملحظ الجمالي في القرآن الكريم، وأدعية المؤمنين فيه ما نراه من تفضيله للجملة الاسمية على الجملة الفعلية في قوله (الحمد لله رب العالمين) حيث أنه " يفيد أن الحمد ثابت لله تعالى، وأنه تعالى كان محمودا قبل حمد الحامدين له، فسواء منهم حمِدوا أو لم يحمدوا، فهو محمود من الأزل إلى الأبد بحمده القديم وكلامه القديم. وأما التعبير بالفعل (أحمد أو نحمد الله) فلا يفيد أكثر من الإخبار بحدوث الحمد من العبد لخالقه، وما وراء ذلك من المعاني مسكوت عنه، ولا يمكن للفعل أن يدل عليه"(18). كما أن تعريف (الحمد) يدل على استغراق أفراد الحمد، والثناء، وأنها مختصة بالرب تعالى، وانسجامه مع الغرض العام(19).

وقد أضيفت كلمة (رب) إلى (العالمين)، وذلك يدل على أن وصف المعبود بالربوبية في مقام الدعاء والثناء " أقرب لِدَرّ ثدي الإجابة وأقوى لتحريك عِرْق الرحمة"(20). ثم جاءت الآية التالية (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) (21) لتصف الله تعالى بالرحمة في (الرحمن) و(الرحيم)، وهما مما فسّرهما المفسرون بتفسيرات تدل بقوة على دقة اختيار الأسلوب القرآني لكلماته، وألفاظه، فمما قيل في التفرقة بينهما: " إنه بالتسمية بـ(الرحمن) موصوف بعموم الرحمة جميعَ خلقه، وأنه بالتسمية بـ(الرحيم) موصوف بخصوص الرحمة بعضَ خلقه"(22). وقيل أيضا: "لما قال: (الرحمن) فتناول جلائل النعم، وعظائمها، وأصولها، وأردف (الرحيم) كالتتمة والرديف؛ ليتناول ما دَقّ منها ولطُف"(23)، وقيل في التفريق بينهما غير ذلك من أقوال المفسرين، وأهل اللغة محاولة نحو التوفيق بين دلالة الكلمتين، وموقع كل منهما في التركيب(24).

وبعد تلك الصفات جاءت صفة المُلك في قوله (مالك يوم الدين) حيث خُصص (يوم الدين) بالإضافة، وذلك " لتعظيم ذلك اليوم، أو تهويله، أو لبيان تفرده تعالى بإجراء الأمر فيه"(25)، فهو يوم يختلف عن سائر الأيام التي اعتادها الناس، لأنه يشهد جزاءات متوافقة لأعمال العباد التي قدمتها أيديهم، ومن ثم فهو يوم الفصل العظيم الذي يشيب له الولدان.

وبعد أن أثنى المؤمن على الله تعالى بصفات عظيمة وجليلة تليق به سبحانه وتعالى، كان مما يقتضيه المقام هو أن يُخاطب تعالى بغاية الخضوع، والاستعانة، والتذلل، ولذا وردت الجملة التالية (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [26] على نسق بديع من النظم، حيث إنها اشتملت على ظاهرة الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، كما اشتملت على ظاهرة تقديم ما حقه التأخير، وتكرار ذلك في الجملة الواحدة.

الالتفات البلاغي:

أما الالتفات فقد جرى الأسلوب من بداية الدعاء على صيغة الغياب، وذلك في (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) [27]، وكان الظاهر يقتضي أن يكون التعبير: (إياه نعبد وإياه نستعين)، ولكن مقام الدعاء اقتضى الانتقال من الغيبة إلى الخطاب، وذلك لتعظيم شأن المعبود. وقد تناول المفسرون وعلماء البلاغة هذا الالتفات في الدعاء ببيان الوجوه البلاغية فيه، فقيل: " إن الكلام من أول السورة (الحمد لله) إلى هنا (مالك يوم الدين) ثناء، والثناء في الغيبة أولى، ومن هنا (إياك نعبد) إلى الآخر (الضالين) دعاء وهو في الحضور أولى"(28). ويرى الدكتور محمد أبو موسى –حفظه الله- " أن المعاني السابقة من حمد الله تعالى، والثناء عليه، وذكر ربوبيته للعالمين، ورحمته الغامرة، وملكه ليوم الدين تَحُثُّ النفوس على الإقبال نحو الحق، متجهة إليه، معلنة وحدانيته بالعبادة والاستعانة. وهكذا يكون الالتفات هنا مشيرا إلى تصاعد الإحساس بالجلال حتى تَخلُص النفس في مراحل عروجها من شؤونها الأرضية، فتُشافه الحق، وتعلن هناك غاية العبودية والاستسلام"(29).

التقديم والتأخيرودلالتهما البلاغية:

وأما تقديم الضمير المنصوب(إياك) وتكراره فقد جاء "للتنصيص على تخصيصه تعالى بكل واحدة من العبادة، والاستعانة؛ ولإبراز الاستلذاذ بالمناجاة والخطاب" (30)؛ لأن المعنى مع هذا القصر يكون " نخُصُّك بالعبادة، لا نعبد غيرك، ونخصك بالاستعانة، لا نستعين بغيرك" (31). وبذلك يكون قصر الاستعانة على الله تعالى دون غيره من باب القصر الحقيقي. كما أن التقديم نفسه يدل على أمر آخر هو الاهتمام والعناية بأمر المقدَّم، قال القزويني –رحمه الله: "ويفيد التقديم وراء التخصيص اهتماما بشأن المقدّم"(32)، وهذا هو ما رجّحه أبو حيان –رحمه الله- بقوله: "التقديم عندنا إنما هو للاعتناء، والاهتمام بالمفعول"(33)، ويرى الدكتور محمد أبو موسى-حفظه الله- أنه لا مانع من اجتماع ظاهرتين بلاغيتين في أسلوب واحد، كاجتماع التخصيص، والعناية في تقديم المفعول (إياك) على الفعل (نعبد ونستعين)، وذلك لأن النكات البلاغية لا تتزاحم (34) فيما بينها، فمن الممكن أن يشتمل الأسلوب الواحد على مجموعة من اللطائف البلاغية، وخاصة في كلام الله المعجز الذي لا يشبه كلام العباد من الجن والإنس، وإليه ذهب أهل البلاغة ومعظم الفسرين. وهناك من يُرجع التقديم للناحية اللفظية، وأنه ورد لمشاكلة رؤوس الآي على اعتبار ما قبله (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) كالعلوي الذي لا يرى منافاة بين أن يكون التقديم هنا راجعا للأمرين معا، أي: للاختصاص، ولمراعاة رؤوس الآي (35)، ولكن مهما كان التفسير وراء ذلك التقديم فإنه في نهاية الأمر يرمي نحو حقيقة واحدة تتمثل في أن الله تعالى وحده هو المحور الأساسي الذي يتعلق به قلب المؤمن في عباداته، ومعتقداته. وهذا النوع من

التقديم مظهر من مظاهر القوة في لغة القرآن الكريم؛ لأنه يُضفى على الكلمة أو الجملة المقدَّمة عن مكانها دلالةً جديدة لم تكن لها قبل التقديم مع الإيجاز والاختصار الذي لا يُحتاج معه إلى إضافة ألفاظ جديدة تقوم بمهمة تأدية المعاني الجديدة.

ومن الملاحظ في الآية الكريمة أيضا (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) أن فعل (نعبد) قُدّم على (نستعين)، وذلك إما لأن العبادة أهم، فهي مما يتقرب بها العبد إلى الله تعالى، وإما لأنها وسيلة، وتقديم الوسائل في طلب الحاجة أدعى للإجابة (36)

وبعد أن يضع العبد بين يدي ربه هذا الاستسلام المطلق، وذلك الثناء البليغ في خشوع تام، وعبودية معلنة، يبدأ الآن ليضع بين يديه طلبه المنشود وهو أن يهديه الله تعالى إلى الصراط المستقيم، متقدما به في أسلوب متماسك، ومتناسق في قوله تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) (37)، ومن الملاحَظ في هذا الأسلوب أن الصراط المستقيم مستعار لدين الإسلام، وهو دين الله تعالى الذي لا يقبل من العباد غيره، وقد آثر القرآن الكريم استخدام كلمة (الصراط) على غيرها من الكلمات القريبة لها في المعنى ، وهي طريقة القرآن الكريم المفضَّلة في التعبير عن المعاني الذهنية بالصورة المحسوسة لما في ذلك من البيان، والإيضاح والتأثير(38).

الإسناد القرآني المعجز في النظم الدعائي:

ومن روائع البلاغة في هذا الجزء من الدعاء(صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) هو الإسناد الملائم لجو العبادة، وموقف الطلب والمسألة، حيث أُسند الإسناد إلى الله تعالى في (أنعمت) صراحة، أي: ببناء الفعل للمعلوم والإتيان به ماضيا، وذلك؛ لأن الغرض " طلب الهداية إلى صراط من ثَبتَ إنعام الله تعالى عليه، وتَحقَّق"[39]، وعُدل عن إسناد الغضب ولإضلال إليه تعالى في نفس الجملة، فلم يُقلْ: غير الذين غضبتَ عليهم، أو الذين أضللتَهم؛ وذلك لتعليم العباد الأدب مع الله تعالى، ولأن "من طلبَ منه الهداية، ونسبَ إليه الإنعام؛ لا يناسب نسبة الغضب إليه؛ لأنه مقام تلطف، وترفّق، وتذلل لطلب الإحسان، فلا يناسب مواجهته بوصف الانتقام"[40]. واعتبر ابن الأثير – رحمه الله- ومن تابعه بناءَ الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله التفاتا من الخطاب إلى الغيبة، وذلك؛ لتعظيم شأن الربّ تعالى في الآية [41] ويكثر هذا الأسلوب في القرآن الكريم، فإنه نهَج على أن ينسب الخير دوما إلى الله تعالى، بينما يأتي الشر غير منسوب إليه تعالى فمثلا ورد فيما يرويه ربنا تعالى عن خليله إبراهيم -عليه السلام- : (فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) [42]، أنه -عليه السلام- أسند النعم المتمثلة في الخَلق، والهداية، والسقيا إلى الله تعالى، وأَسند المرض إلى نفسه قائلا (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) وذلك؛ لأن المرض ليس من جنس النعم، ومثله ما ورد في سورة الجن من قوله تعالى: (وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) [43]، حيث أُسندت إرادة الرَّشد إلى الله تعالى، بينما وردت إرادة الشر بصيغة المبني للمجهول (أُريد) غير مسندة إلى الله تعالى، وذلك لأن كل خير بين يديه، وأن الشر ليس إليه.

مطلب النصرة:

ومن المطالب الدنيوية التي أصرّ عليها المؤمنون في أدعيتهم مطلب النصرة، وقد ورد في آخر سورة البقرة بالتفصيل.

إذا كان الدعاء في مستهل كتاب الله تعالى في سورة الفاتحة – والذي مرّت دراستها في الأسطر السابقة- مشتملا على الثناء على الله تعالى بجميل صفاته الحسنى، والإرشاد والتعليم لعباده المؤمنين بأن يتجهوا إليه تعالى بالدعاء بما يليق

بجلاله، وعظمته؛ فإن ختام سورة البقرة يشتمل على لجوء المؤمنين بضعفهم الموضوع في نفوسهم إلى ربهم الكريم في قوته، معلنين إيمانهم به، واستجابتهم وطاعتهم له، وطالبين في تضرع وخشوع إليه تعالى أن يُسبغ عليهم عفوه، وغفرانه، ورحمته، ورافعين إليه تعالى أَكُفَّ الضراعة ليرفع عنهم الأغلال والآصار، ولينصرهم على أعدائهم وأعدائه الكفار. والذي يتأمل في هذه الآيات الكريمة يجد بوضوح أنها تَنِمّ عن ختام حسن، ونهاية رائعة للسورة كلها، كما أن لها شرفَ أول سورة بعد سورة الفاتحة في كتاب الله العزيز.

النكات البلاغية في هذا المطلب:

إيجاز الحذف:

وأول ما يلقانا من اللمسات البلاغية في هذا الدعاء الجليل هو ما فيه من إيجاز الحذف في قوله (كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) حيث حُذف الفعل قبل جملة (لَا نُفَرِّقُ)، والتقدير: يقولون لا نفرق، وذلك مظهر من مظاهر القوة التعبيرية في كلام الله تعالى، ومنهج أسلوبي أصيل سلكه القرآن الكريم في عرض مثل هذه الأساليب القولية المروية على ألسنة الشخصيات المتعددة في كلام ربنا تعالى.

التقديم والتأخير:

ومن جمال النظم في هذا الدعاء هو الترتيب المتّبع في قوله (وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) حيث قُدّم ذكر (السمع والطاعة) على طلب الغفران، وذلك؛ "لأن تقديم الوسيلة على المسؤول أدعى إلى الإجابة والقبول"[44].

يضاف إلى ذلك ما في هذا الدعاء أيضا من حذف يقتضيه المقام، كحذف ياء النداء من بداية (ربنا) إحساسا بالقرب منه تعالى، وقد أوثرت كلمة (الرب) في النداء حال كونها مضافة إلى ضمير المتكلمين (نا) لما فيها من ملائمتها لموقف الدعاء، ولأن من مقتضيات الربوبية إجابة الدعاء، وهي كلمة تدل في باب الدعاء على الإلحاح في التضرع والابتهال. ومما حُذف في الجملة أيضا مفعول (سمعنا) كأن يكون (أمرك) أو غيره، وذلك لتكون دلالته أشمل تعم جميع ما يجب أن يُسمع لربنا تعالى، والله تعالى أعلم. ومما يُلفت النظر في الآية نفسها هو تقديم متعلق الخبر وهو قوله (إليك) على المبتدأ وهو (المصير)، وذلك لإفادة الاختصاص، وعلى هذا يكون المعنى " الرجوعُ بالموت والبعث لا إلى غيرك، وهو تذييلٌ لما قبله، مقرّرٌ للحاجة إلى المغفرة"[45].

ولا يخفى ما في أولها من تقديم الجار والمجرور (لها وعليها) على الفعل (كسبتْ) لإفادة الاختصاص والحصر الذي يكون المعنى معه " أن ذلك لها، لا لغيرها، وعليها، لا على غيرها"[46]، كما لا يخفى ما في هذا الأسلوب من الطباق السلبي الذي أضفى على الجملة ومعناها نوعا من الجمال اللفظي الذي كان سببا في القيام بأداء المعنى على الوجه المرغوب فيه، والطريقة المحمودة والمؤثرة في النفوس. وذلك نوع من التناسق بين عناصر الجملة ومكوناتها، كما أنه من عوامل القوة في الأسلوب العربي، فقد تم التناسب المعنوي بالتضاد بين (لها ما كسبت، وعليها ما اكتسبت) فاللام في (لها) للمُلك المؤْذن بالانتفاع، و (على) في (عليها) للاستعلاء المؤْذن بالتحمل والضرر، وبواسطة اللام صار الفعل الأول (كسبت) مختصا بالخير، بينما صار الفعل الثاني (اكتسبت) مختصا بالشر، وذلك " لأن الاكتساب فيه احتمال، والشر تشتهيه النفس، وتنجذب إليه، فكانت أجَدَّ في تحصيله وأعملَ، بخلاف الخير"[47]، ولما كان الأمر كذلك، وكان في الإقدام على الشر الذي تشتهيه النفس احتمال، وكان في الحصول عليه إعمال الجد والسعي، فمن العدل، والمناسبة التامة أن يقابل ذلك بالعقاب والجزاء الذي يدل عليه حرف الجر (على) في قوله (عليها).

أما في نهاية هذا الدعاء المهم فيعلّم الله تعالى عباده كيفية التضرع إليه، وتقديم طلبهم بين يديه بطريقة تبعث على الإجابة، ولا شك أن "هذا من غاية الكرم، ونهاية الإحسان، يعلّمهم تعالى الطلبَ ليعطيهم، ويرشدهم للسؤال ليُثيبهم"[48] بهذه الكلمات الرائعة (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)، وهو - كما يبدو جليا- دعاء يصوّر حال المؤمنين مع ربهم الرحيم، وإدراكهم لضعفهم، وحاجتهم إلى رحمة ربهم، وعفوه، وغفرانه، ونصره، ولذا فهو دعاء جامع يجمع كل أنواع الخير من ظهور الدين، ودخول الناس فيه بطمأنينة، وطيب العيش، والسلامة من الفتنة [49].

التشبيه:

وفي قوله (رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا) تشبيه أوقعه الداعون بين الإصر الذي يخافونه، وبين الذي قد حُمّل على من قبلهم، وهو تشبيه جيء به اختصارا للسكوت عن تفاصيل ذلك الإصر، وماهيته، وذكر من وقع عليهم. ويرى الزمخشري –رحمه الله- أن كلمة (إصرا) أُستعيرت للدلالة على التكليف الشاق، وذلك لما يحمل من تصوير وتشخيص للتكاليف الشاقة (50). ولا يخفى ما في كلمة (إصرا) من التنكير المتمثل في التنوين للدلالة على العموم والشمول، وذلك ليشمل كل أنواع الإصر المعروفة والمجهولة، فالمؤمنون في هذا الجزء من الدعاء يطلبون إلى الله تعالى في ضراعة أن يُجنّبهم كل أنواع التكاليف الشاقة التي لا احتمال، ولا صبر لهم عليها.

الوصل والفصل:

وفي قوله تعالى (فانصرنا على القوم الكافرين) وصل الجملة بما سبقها من قوله (أنت مولنا)، وذلك عن طريق فاء العطف التي جاءت هنا لإفادة التفريع، فقد تفرعت جملة (فانصرنا على القوم الكافرين) عن جملة (أنت مولنا) لأن الله تعالى مولى المؤمنين، ومن شأن المولى المعبود أن ينصر مولاه العبد. ثم إن جملة (أنت مولنا) فصلت عما قبلها؛ لأنها جملة خبرية، وما قبلها (وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا) جمل إنشائية وردت فيما بينها متصلة بالواو لما بين طلب العفو، والمغفرة، والرحمة من تناسب واضح، وكل ذلك منح هذا السياق الدعائي نوعا من الجمال الكامن في هذا التركيب القرآني المعجز. ومن الجمال البلاغي الوارد في الجملة الأخيرة (فانصرنا على القوم الكافرين) حيث ناسبت الفاصلة التي هي هنا (الكافرين) القومَ، ليكون التركيب كله مناسبا لمعنى الآية، فالآية تدور حول طلب النصر على أعداء الله تعالى الذين يحاولون باستمرار أن يصرفوا الناس عن الإيمان به، وذلك عن طريق إخفاء الحقائق عن أعينهم، يضاف إلى ذلك أن الكفر نفسه أمر يبعث على أن يحد بحدود، وأن يقاوم بوسائل مناسبة حتى لا يتفاقم شره، ولا ينتشر في المجتمعات فساده، وهذا من تناسب الكلمات لأخواتها في القرآن الكريم، ليس لمجرد الجمع بينها، وإنما لتقوم على المقصود المراد بأفضل وسيلة، وأقرب طريقة. فهذا الدعاء في الحقيقة جمع بين أكثر من مطلب كالعفو، والمغفرة، والرحمة إلا أن المطلب الأسمى، والهدف الأولى بالطلب هو الانتصار على أعداء الله تعالى، وعلى مخططاتهم الإجرامية التي بعثت فيهم روح الضغينة، والحقد، والكراهية لكل ما ينتمي إلى الإسلام من قريب أو بعيد، فالانتصار عليهم، والظفر بهم هو عبارة عن نيل المطالب كلها، ولذلك أخرّ ذكره حتى نهاية الآية الكريمة، وذلك لأهميته في الباب، وعظم دوره في القضاء على جميع أنواع الفساد المستشري بسببهم (الكفار) في المجتمعات، والله تعالى أعلم.

القصر:

ومثل ما سبق قوله تعالى (وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)، حيث ورد القصر عن طريق النفي والاستثناء ليفيد التقرير والتوكيد على أن قول هؤلاء الربيين كان عبارة عن الاستغفار للذنوب، والإسراف في الأمور، وطلب تثبيت الأقدام، والاستنصار فقط، أي: أنهم ما كانوا ينطقون إلا بهذه المطالب السامية، وهذا يدل على أنهم كانوا أهل لسان طيب لا يستخدمونه في الفحش والزور من القول، ولا يتكلمون به في أمور الشر والبلايا، حتى صار أمرهم إذا تحدثوا صدقوا، وإذا أرادوا أن ينطقوا فبخير يفتحون لسانهم، وإذا بدَر منهم ما يبدو أنه خلاف الصدق والحق، فهم مباشرة إلى الاستغفار وطلب الغفران يُسرعون، وإلى الله الغفور يلجأون، ومما يعتبرونه إسرافا في أمورهم يتوبون، ولْنلاحظ إطلاقهم لكلمة الإسراف الدالة على أنهم بهذا الطهر، وذلك العفاف، وتلك الصحبة الطيبة كانوا يعتبرون بعض أعمالهم إسرافا، وذلك بلا شك يُظهر لنا قوة إيمانهم، ودقة إحساسهم فيما هم يعملون، كما أنه يرفع الستار عن جانب الخشية الشديدة في عقيدتهم، لأنهم من أدنى المنكرات يخافون، وبسببها إلى التوبة والاستغفار يتبادرون، لعل الله تعالى الرحيم، رب العرش الكريم يغفر لهم ما اعتبروه إثما وذنبا، كما أن القصر بالنفي والاستثناء في هذا الدعاء يدل على أنهم كانوا حسّاسين في أمر إيمانهم الذي يحملونه في قلوبهم، بحيث إذا ما شعروا بضعف فيه، أو نقص في مقتضياته خافوا على زواله، وتزحزحه في صدورهم، فأسرعوا إلى مولاهم -الذي جعل الإيمان في قلوبهم قويا- يطلبون منه أن يعينهم على الثبات على الحق، وأن يؤازرهم في المُضِيّ على مبدأ الطاعة والاستسلام. وإذا ما واجهوا عدوا لهم، فلا يتكئون على ما حملوه من العُدَّة والعتاد، ولا يُعجبون بكثرة العدد والسواد الأعظم، وإنما يطلبون من الله تعالى أن يُثبت أقدامهم حتى لا يبعثهم الخوف من الموت على الفرار من ميدان القتال، والهروب من ساحة النزال، خاصة وهم يعرفون أن ذلك من المعاصي العظام، والمآثم الكبيرة في دين الرحمن، ولا يطلبون هذا الثبات إلا ليتحقق لهم الهدف الأسمى، والغاية العظمى التي هي الانتصار في آخر المطاف على أعداء الله تعالى،. وهذه الدلالات المتعددة في التراكيب -التي حملها دعاء هؤلاء الصالحين من الربّيّن- لم تكن لتُقدَّر لو أنها لم توضع في أسلوب القصر بالنفي والاستثناء.

نكتة معبرة:

ومن الملاحظ هنا أيضا أنهم جعلوا طلب تثبيت الأقدام تمهيدا لتحقيق الطلب الأخير، وهو النصرة التي يرجونها من رب العالمين، ويتضرعون في طلبها إليه على القوم الذي وصفوه في الكلمة الأخيرة – التي تعتبر الفاصلة القرآنية في الآية- بالكافرين، وذلك أولا يعتبر من جمال توافق الفواصل القرآنية لما قبلها من الكلمات الموصوفة، وثانيا فيها (الكافرين) من الناحية الدلالية تعريض منهم بأنهم جديرون بهذا المطلب، مطلب النصر على الأعداء، وذلك لأن هؤلاء الأعداء ليسوا أعداءهم وحدهم فقط، وإنما هم (الأعداء) أعداء لله أولا بكفرهم، وطغيانهم، وفسادهم، وأعداء لهم ثانيا في المعتقد، والدين، ومن ثم فالمطلب المقصود لا يعود بالفائدة عليهم وحدهم، وإنما الفائدة فائدة عظيمة أعظم من أن تكون فائدة شخصية تنطوي على الأهداف القصيرة المدى، ولذا فهم أحق بأن يُنصروا، وأجدر بأن يُؤازروا، وأولى بأن يُدعموا في مقابل قوم لم يُعلنوا عداوتهم للمسلمين وحدهم، وإنما أعلنوها نهارا جهارا للفطرة الكونية، وفاطرها فاطر السموات والأرض ومن فيهن، فأمثال هؤلاء المعاندين ليس لهم إلا أن يُقهروا، ويُهزموا فهم أولى بذلك وأجدر.

ومن هذا القبيل (طلب النصرة) أيضا قول الله تعالى حكاية عن المستضعفين: (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا) [51] وهم يدعون الله تعالى أن يوكّل لهم وليّا ونصيرا، وذلك

لِيَلِيَ أمورهم، وينصفهم من الظالمين، وينصرهم عليهم، فدعاؤهم بطلب النصير يوحي بأنهم يطلبون النصرة والانتصار من الله تعالى على من ظلمهم، وأخرجهم من بيوتهم وقراهم.

التقديم والتأخير:

وقد قُدّم في هذا الدعاء المفعول الثاني (من لدنك) على المفعول الأول (وليّا ونصيرا) لـ(جعل)، لما في ذلك من تشريف بإضافته إلى كاف الخطاب الموجه إلى الله تعالى، فكان هو الأهم في الجملة، فلذا قُدّم للاهتمام والعناية، وجاء المفعول الأول (وليا ونصيرا) بالتنكير ليدل على التعظيم، أي: وليّا عظيما، ونصيرا عظيما، وهذا المعنى هو المتناسق مع سياق الدعاء، لأن النصير العظيم هو الأقدر على إنصافهم من هؤلاء الظلمة الجبابرة، وإلى هذا التأويل أشار أبو السعود –رحمه الله- بقوله: " المرادُ: واجعل لنا من لدنك ولايةً ونُصرةً، أي: كن أنت وليَّنا وناصِرَنا" (52) فهم طلبوا من الله تعالى أن يكون نصيرهم ينصرهم على أعدائهم، وينصفهم منهم لأن غيره من عباده لا يقدرون على هذا العمل العظيم الذي عُبّر عنه في هذا الدعاء بالتنكير. وقد تكرر الفعل (اجعل) مرتين، تقدم في كل منهما المفعول الأول له (من لدنك) على المفعول الثاني (وليا نصيرا)، وذلك للمبالغة في الضراعة والابتهال (53)، أي أن هؤلاء المستضعفين لما كانوا في محنة شديدة، وبلاء عظيم ليس لهم أن يتحملوه، ولما كانوا في حالة من قلة الزاد، والعتاد، والقوة، والمتاع، وفي حاجة ماسة إلى النصرة والنجدة؛ فبالغوا في ضراعتهم إلى الله تعالى، وأكّدوا في ابتهالاتهم التي رفعوها إلىهتعالى عن طريق تكرار الفعل (اجعل) وذلك لما في نفوسهم من شعور قوي بالافتقار، وإحساس غير عادي بالوحشة التي تسبب فيها قلة النصرة، والناصرين، وفي ذلك إشارة إلى أن النفوس البشرية جُبلت على تكرار استخدام صيغة الفعل التي تحمل ما هم إليه يقصدون، وما هم به إليه يشيرون ويستهدفون. وإلا فكان من الممكن أن يستخدموا فعل (اجعل) مرة واحدة يعقبه مفعوله الذي هو (وليا ونصيرا)، وعنئذ كانت الجملة على صورة (واجعل لنا من لدنك وليا ونصيرا)، وهي صحيحة التركيب، وسليمة المعنى إلا أنها لا تحمل من معاني الإلحاح، والإصرار، والمبالغة في الضراعة ما تحمله الجملة الواردة في قوله تعالى : (وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا)، وكل ذلك لأن جملتنا الأولى لم تشتمل إلا على فعل الأمر الواحد (اجعل) الذي خرج إلى معنى الدعاء العادي، والطلب المتعارف عليه في أوساط الداعين، بينما الجملة القرآنية الثانية اشتملت على تكرار صيغة الأمر مرتين، وبذلك أدت الأمر على الوجه المطلوب، والصورة اللائقة التي تتناسب وسياق الآيات الحاملة لدعاء هؤلاء المستضعفين، المنكوبين، الذين تُملي عليهم حياة النكد، والضيق أن يُؤكِّدوا على ما هم يطلبون، وأن يبالغوا فيما هم إليه يفتقرون، وذلك اعتقادا منهم أن مثل تلك التراكيب المؤَكَّدة، والمبالغ فيها سرعان ما يُستجاب لها، وبالتالي يأتيهم المدد سريعا، وتصلهم النجدة العاجلة دون تباطؤ، ولا تهاون في مثل هذه المواقف المهمة. وفي ذلك إشارة أيضا أن مواقف الشدة لا تتناسب معها إلا التراكيب المؤكدة، وأن الأحوال المحرجة تحتاج في التعبير عنها إلى أساليب التأكيد والمبالغة التي هي الأقدر على الإفصاح عنها، وهي الأنسب في إيصالها إلى الهدف الأسمى، والغاية المنشودة المرجوة من قبل أصحابها المُعبَّر عنهم في هذه الآية الكريمة بالمستضعفين من الرجال، والنساء، والولدان الذين أُخرجوا من ديارهم ظلما وقهرا. وهذا المعنى هو المتماشي مع سياق الآية التي تدعو إلى الجهاد والقتال في سبيل الله تعالى دفاعا عن إخوانهم المستضعفين الذين لا ينقطع لهم في إخوانهم المؤمنين رجاء، ولا يصرفهم في استنزال النصرة عليهم من ربهم أي بلاء، فيرفعون أكف الضراعة إلى الله تعالى طالبين منه النصرة، وأن يتولى تعالى أمرهم، ومن أجل أمثال هؤلاء المستضعفين - الذين عَبّر عن افتقارهم الشديد إلى النصرة أسلوب التكرار- يسأل الله تعالى عباده المؤمنين، وإخوان هؤلاء المستضعفين

المعافين في استفهام استنكاري قائلا: (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا) [54]، وهكذا تأتي دلالة هذا التكرار واضحة في ظل سياق الآية كلها، حيث أنها حقا كانت دالة على المبالغة في الضراعة، والابتهال؛ لأن الذين دعوا بهذا الدعاء، واستخدموا هذا الفعل هم في أمس الحاجة إلى نصرة ناصر ينصرهم على من ظلمهم، ويُنصِفهم ممن سَلَبهم حقوقَهم ظلما وجورا، ويَرُدُّ لهم كرامَتهم التي دِيستْ تحت الأقدام، وإلى ولاية وليّ يلي أمورهم العوجاء، ويُصلِح لهم أوضاعَهم السوداء، ويعود بهم إلى أيامهم البيضاء، وإلى لحظات حياتهم التي هم كانوا فيها سعداء، ليس لهم فيها من الأشقياء رفقاء، حيث كانوا فيما بينهم رحماء، كما كانوا على أعداء الله تعالى فيها أشداء.

طلب تثبيت الأقدام:

ومن المطالب الرئيسية التي ورد دعاء المؤمنين فيها هو ثتبيت الأقدام، واستنزال الصبر، وقد جاء لهذا الطلب قول الله تعالى على لسان أتباع طالوت من المؤمنين: (وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) [55]، وهو يحكي لنا لحظة ما قبل الاصطدام بين الفريقين: فريق الحق، وفريق الباطل حيث أنهم بعدما تقدموا للمبارزة صوب عدو الله جالوت، وجنوده الكافرين فإنهم رفعوا أكف الضراعة إلى الله تعالى في خشوع وتذلل يطلبون منه تعالى ثلاثة مطالب مهمة: وهي مطلب استنزال الصبر على مقاساة صعوبات الحرب، وشدائدها التي لا يدرك مداها إلا من جرّبها، أيضا الصبر على اقتحام الموارد الشاقة في ميدان القتال، وساحات النزال، حيث تكون المواقف عسيرة، والأوضاع جد خطيرة، ومطلب تثبيت الأقدام؛ لأن النفس مجبولة على حب الدنيا وكراهية الموت، فهي دوما تُؤْثر الراحة على المشقة، وفي سبيل الحصول عليها تعتريها لحظات الخوف من الفشل، بل ليس الفشل فحسب، وإنما الخوف من مواجهة المخاطر، والخشية من مجابهة الشدائد. أما المطلب الثالث فهو صلب الموضوع، وأصل كل المطالب التمهيدية الأخرى، ألا هو طلب الانتصار على القوم الكافرين.

وقد جاءت المطالب الثلاثة (الصبر وتثبيت الأقدام، والنصر على الأعداء) في ترتيب منطقي بديع حيث تقدم مطلب الصبر على المطلبين الآخرَين، وذلك؛ لأنه هو الأساس والبنيان الذي سيترتب عليه المطلبان الآخران، ثم تبعه مطلب تثبيت الأقدام الذي لا يمكن تحقيقه إلا بوجود الصبر قبله حتى يمهّد له الطريق، ويفتح نحو السبيل، ولذا كان المطلب الثاني متفرعا عن المطلب الأول، ثم جاء المطلب الثالث (النصر على الأعداء) في نهاية المطالب، وتأخر عن الجميع، وذلك لأنه هو الهدف الأسمى، والغاية القصوى، ولا يتسنى الوصول إليه إلا باتباع السبيل المؤدي إليه، وهو أن يتقدمه الصبر الذي هو ملاك الأمر، ممهدا الطريق إلى تثبيت الأقدام في ساحات الوغى، وميادين النزال، حيث لا احتمال لغير المُثبَّت أقدامه على مواجهة الصعاب، ولا على مجابهة الشدائد، وقد آثر القرآن الكريم هنا التعبير بالاسم الظاهر (الكافرين) بدلا عن ضميره كأن يقال: وانصرنا عليهم، خاصة وأن المرجع مذكور في بداية الآية وهو (لجالوت وجنوده)، وذلك لأن الاسم (الكافرين) هنا يحمل من علة هذا الطلب (النصر) وهو ما ليس موجودا في ضميره، فكأن لسان حالهم يقول: انصرنا على جالوت وجنوده؛ لأنهم كافرون بك وبما أسبغت عليهم من نعمك العظيمة وآلائك الجسيمة(56). وهذه هي طريقة القرآن الكريم المفضلة في تفريع الأمور بعضها من بعض، ولا يخفى ما في هذا الترتيب البديع من مناسبة التراكيب والجمل للمعاني الواقعية التي تدل عليها، كما أن ذلك إشارة إلى ما يجب أن يلتزم به الداعون في أدعيتهم وضراعاتهم التي يرفعونها إلى أبواب السماء. وقد أطلقوا كلمة (صبرا) نكرة، وذلك لتدل على التعظيم، فإنهم بحاجة ليس إلى الصبر العادي، وإنما بحاجة إلى الصبر العظيم الذي يُمكِّنهم من احتمال ما

سيواجهونه في ميدان الحرب، وفي مواجهة الجم الغفير من قوات الجيش المقابل. ومن روائع هذا الدعاء أيضا أنه وُضع في أسلوب الشرط (ولما برزوا لجالوت وجنوده)، والجزاء (قالوا ربنا أفرغ ...) وذلك يُشعر بأهمية الدعاء قبل القتال والاصطدام، ولقد جرت الأساليب العادية في مثل هذه المواقف العصيبة، وهذه التراكيب البديعة -كأسلوب الشرط والجزاء- على أن يكون الجزاء نتيجة حتمية للشرط، وأن يكون من جنسه في الغالب، فمثلا كان من المتوقع أن يكون الجزاء هنا عبارة عن جملة كـ(هجموا عليهم، أو بادروهم بالقتال، أوباغتوهم بالضربات الموجعة) لكن العبارة جاءت(قالوا ربنا) لتسجل نظما جديدا لم يعهده العرب من قبل، ولم يجربوه في كلامهم العربي الذي ورثوه من أسلافهم، وفي ذلك إشارة إلى النصر بيد الله تعالى يُطلب منه، وأن التوفيق في الانتصار على العدو ليس مرتبطا بالأسباب الأرضية من كثرة الجنود، وتوفر العتاد.

ومن الجمال البلاغي في الدعاء هو استخدام كلمة الأقدام (أقدامنا) من المجاز المرسل الذي علاقته الجزئية، فأتباع طالوت تعالى يتضرعون إلى الله تعالى ويرجونه أن يثبت أقدامهم في أرض المعركة، مخصصين هذا الثبات بالأقدام وحدها دون سائر الجسد، مع أن المطلوب هو تثبيت الجسد كله، وذلك؛ لأن السياق هو الذي يتطلب هذا النوع من التعبير، فالموقف هنا موقف شدة وضيق في معركة غير متكافئة، فعددهم قليل وعدد العدو كثير، وذلك قد يكون سببا من أسباب الهروب من أرض المعركة خاصة عند ضعاف النفوس، وإن الأرجل والأقدام لهي أهم وسيلة تُستخدم للحركة هنا وهناك، فإما للانتصار والهجوم والشهادة، وإما للفرار من الميدان ، فلذلك استخدم المؤمنون كلمة الأقدام للتعبير عن الثبات الكامل، مع وجود علاقة الجزئية بين الجسد والأقدام.

الصور البيانية:

واشتملت الآية إضافة إلى المجاز المرسل على استعارة وكناية أيضا، وذلك أنهم شبّهوا "الصبر بماء تشبيه المعقول بالمحسوس، على طريقة الاستعارة المكنية، وشُبّه خَلقُه في نفوسهم بإفراغ الماء من الإناء على طريقة التخييلية، فإن الإفراغ صّب جميع ما في الإناء، والمقصود من ذلك الكناية عن قوة الصبر؛ لأن إفراغ الإناء يستلزم أنه لم يبق فيه شيء مما حواه، فاشتملت هذه الجملة على مكنية وتخييلية وكناية"(57)، وعلى هذا ففي هذا الدعاء "معنى بديع، واستعارة لطيفة، ونكتة بليغة؛ لأنه جعل الصبر بمنزلة الماء المُنصَبّ عليهم لثلج صدورهم، وإغنائهم عن الماء الذي مُنعوا منه"(58). والاستعارة الموجودة في الآية الكريمة جعلت صورة المعركة حيّة ماثلة أمامنا، كأننا نراهم وهم في أمسّ الحاجة إلى العون والصبر الذي جعلوه ماء ينزل عليهم من السماء يعُمّهم، فلا يترك واحدا منهم إلا وشمله هذا الفيض الإلهي، فتمتلئ قلوبهم صبرا وجَلدا لمواجهة الأعداء دون خوف او جزع.

ومما ورد في طلب الثبات على الهداية والإيمان هو قوله تعالى حكاية عن المؤمنين الراسخين في العلم: رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ [59]، وهم يتضرعون إلى الله تعالى قائلين: " لا تُمِلْها عن الحق والهدى، كما أزغتَ قلوب الذين في قلوبهم زيغ"(60)، ويطلبون إليه أن يثبتهم على الإيمان، وأن لا ينزع عنهم نعمة الهداية، كما يطلبون بجانب نعمة الهداية رحمة من عنده تعالى. ومن الملاحظ في هذا الدعاء أنهم قدموا الثبات على الهداية والإيمان على استيهاب النعمة، وذلك لأهمية الهداية التي لولاها فلا معنى للرحمة في حياة المؤمنين.

وفي قوله (لا تزغ قلوبنا) مجاز مرسل في كلمة (قلوبنا) حيث عبّروا بها وهي الجزء عن الجسد كله، وهذا يدل على أهمية القلب في جسد الإنسان لما له من مكانة عظيمة، فهو الملك الذي يحكم الجسد كله، وإذا صلُح صلُح الجسد كله، وإذا فسد تبعه الجسد كله في الفساد (61)، فهو مفتاح الهداية، وأساسها، ولذلك طلبوا له الثبات على طريق الحق،

وعدم الميل أو الانحراف عنه. وفي جملة (إنك أنت الوهاب) تأكيد لإفادة اليقين بمضمون الجملة حيث أكّدوا لله تعالى باستخدامهم أداة (إنّ) الجملة الاسمية ليس من أجل المخاطب؛ لأنه هو الله تعالى العليم بذات الصدور، وإنما تعبيرا وتوضيحا لحال الداعين أنفسهم حيث إنهم بهذا الاستخدام أكّدوا أنهم متيقون من الإجابة التي تحتوي على معناها هذه الجملة. ولا يخفى ما في استخدامهم لكلمة (الوهاب) بصيغة المبالغة من التوكيد، والتكثير فهذه الهبة (هبة الرحمة) مضمونة، وهم متيقون من تحققها، كما أن الله تعالى إذا أراد أن يهب فإنه يهب بكثرة وبلا حساب. وبين كلمة (هب) و (الوهاب) مناسبة قوية تضفي على الجملة جوا من الجمال اللفظي يضيف للجملة زيادة في المعنى، وهو ما يطُلق عليه في باب البلاغة التسهيم، أو رد العجز على الصدر حيث جاءت كلمة (هب) قبل نهاية الآية لتدل على نهايتها التي هي تاكيد لما سبق بكلمة (الوهاب).

مطلب الشكر، وما فيه من النكات البلاغية:

ومن المطالب الدنيوية التي طلبها المؤمنون في أدعيتهم هو طلب الشكر على النعمة، والتوفيق إلى الأعمال الصالحة، ومثال ذلك ما ورد في قوله تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [62]وقد اشتمل هذا الدعاء على مجموعة من الظواهر والأساليب البلاغية الجميلة التي أضفت على الآية روعة وبهاء، فمن ذلك مثلا أن كلمة النعمة وردت مفردة في قوله (نعمتك)، وذلك للتعبير عن إحساس الإنسان بعظم كرم الله تعالى، وحُسن تفضّله عليه، حيث أنعم عليه بنعم كثيرة لا تحصى إلا أن الإنسان يعبر عن هذه النعم كلها بصيغة الإفراد، وذلك –والله أعلم- لأن نعم الله تعالى ذات نمط فريد، حيث يصعب على الإنسان المنعَم عليه عدُّها، ويستحيل إحصاؤها بحكم قول الله تعالى: (وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) (63)، فإفرادها فيه تعظيم لشأنها، وكذلك إضافتها إلى الله تعالى قد كسبْها ثوبا من التعظيم " مما يجعل تَذكُّر واحدة منها كافيا في أن يَخِرّ المنعَم عليه ساجدا لربه شكرا عليها، فكيف بتذكر نعمه كلها أو بعضها؟ كما يومئ الإفراد إلى أن الإنسان مهما أطاع ربه وانقطع له، وأوغل في عبادته؛ لا يستطيع أن يؤدي حق الشكر على نعمة واحدة، إذ أن التوفيق للطاعة والعبادة هو في حد ذاته نعمة تستدعي الشكر عليها، وأين الإنسان من معرفة كل ما أنعم الله تعالى عليه، وهو يجهل من نعم الله في نفسه أكثر مما يعلم، حتى يمكنه الشكر على كل النعم؟"(64). ولا يخفى ما في إضافة النعمة إلى كاف الخطاب في قوله (نعمتك) من تشريف وتعظيم، فهي نعم جليلة لا يقدر أحد على إيتائها، فقليل منها كثير من عند الله تعالى. وقيل: إن " إضافة النعمة للاستغراق، أي: جميع نعمك"(65). وفي التعريف بالاسم الموصول (التي) توضيح للمراد بهذه النعمة الموجبة للشكر، فهي نعمة تفضل الله تعالى بالإنعام بها على عبده الإنسان. وفي قوله (إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) توكيد يفيد اعتراف الإنسان بما تقترفه أيديه من الآثام والسيئات، كما يفيد العودة إلى الاستسلام الحقيقي المطلوب. كما أن المشاكلة بين التوبة التي تحتوي عليها كلمة (تُبْتُ) وبين الاستسلام الذي تحتوي عليه كلمة (الْمُسْلِمِينَ) قد أضفت على الجملة جمالا في التركيب يضاف إلى معنى التوكيد السابق. وهذا هو الجزء الذي اختلف فيه هذا الدعاء من نبي الله تعالى سليمان -عليه السلام- حيث كان قد أنهى دعاءه بقوله (وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) [66]وذلك بعد أن بدأه بنفس الأسلوب والكلمات هكذا (سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ) غير أن (قال) تصدرت هذا، بينما الدعاء السابق ورد بدونه.

الخاتمة:

تتوصل الدراسة المتواضعة في الأسطر السابقة إلى عدد من النتائج، وفيما يلي ذكر بعضها:

اشتملت آيات ضراعات المؤمنين على معان سامية، ومطالب مهمة ومتنوعة، يتجلى فيها الإيمان بوحدانية الله تعالى، والثناء عليه بما يليق بجلاله وعظمته، وتخصيصه بالطلب، كما أنها احتوت على ما ينفع المؤمنين في أمورهم الدنيوية والأخروية.

لقد تعددت مطالب المؤمنين في ضراعاتهم التي رفعوا بها أكفهم نحو ربهم الكريم، فكانت منها: طلب النصرة، وطلب النجاة من الظلم وأهله، وطلب التوفيق للشكر على النعمة، والقيام بالعمل الصالح، وطلب تثبيت الأقدام، وطلب الذرية الصالحة، وطلب الوفاة على الإسلام، والتوحيد، والإيمان، وطلب الهداية، والتوفيق إلى اختيار السبيل الموصل إلى الله تعالى.

لقد كان لبراعة الاستهلال- وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب حال المتكلم فيه، ويشير إلى ما سبق الكلام لأجله- جماله المؤثر في آيات الضراعة للمؤمنين.

اتسمت آيات ضراعة المؤمنين باختيار الألفاظ بدقة وإتقان حيث راعت ما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالتها، لتوظف كل لفظ بحيث يؤدي معناه في دقة فائقة، ودلالة قوية.

كما أنها اتسمت بالمراعاة الدقيقة في تركيب الجمل، ونظمها وبنائها، وذلك لتؤدي دلالات معينة لا تؤَدَّى إلا بها، فالجملة القرآنية تركيب لا يسدّ غيره مسدّه.

لوحظ من خلال التحليل في آيات ضراعة المؤمنين أنه لا مانع من اجتماع النكات البلاغية المتعددة كالعناية والتخصيص في باب التقديم والتأخير، فهي لا تتزاحم فيما بينها، فمن الممكن أن يشتمل الأسلوب الواحد على مجموعة من اللطائف البلاغية، وخاصة في كلام الله المعجز الذي لا يشبه كلام العباد من الجن والإنس.

ومن الملاحظ في هذه الآيات أن أسلوب الاستخدام يتصف بالأدب الجم لدى المتضرع، فهو في ضراعاته لا يخاطب الله بما لا يناسبه، ولا يُسند إليه إلا الخير، أما الشر فيذكره بصيغة المبني للمجهول وذلك تأدبا مع رب العالمين.

واحتوت آيات ضراعات المؤمنين على معظم المطالب البلاغية المتعلقة بالعلوم الثلاثة من البيان وعلم المعاني والبديع، إلا أن نصيب كل واحد منها تفاوت فيما بينها، فقد اشتملت تلك الآيات على موضوعات التشبيه، والاستعارة من البيان،وعلى التقديم والتأخير،والوصل والفصل،والقصر،والإيجاز والإطناب من علم المعاني، وعلى كثير من المحسنات اللفظية والمعنوية من علم البديع. وكلها في نهاية المطاف كانت مظهرا جماليا أضفى على الآيات ودلالاتها تأثيرا وقوة.

الحواشي والهوامش

([1]) القرآن 2/ 185.

Al-Quran 2/185

([2]) القرآن 2/ 286.

Al-Quran 2/286

([3]) القرآن 3/ 147.

Al-Quran 3/147

([4]) القرآن 5/ 75.

Al-Quran 5/75

([5]) القرآن 10/ 85-86.

Al-Quran 10 / 85-86

([6]) القرآن 66/ 11.

Al-Quran 66/11

([7]) القرآن 46/ 15.

Al-Quran 15/46

([8]) القرآن 2/ 250.

Al-Quran 2/250

([9]) القرآن 3/ 147.

Al-Quran 3/147

([10]) القرآن 3/ 126.

Al-Quran 3/126

([11]) القرآن 3/ 53.

Al-Quran 3/53

([12]) القرآن 25/ 74.

Al-Quran 25/74

([13]) القرآن 63: 10.

Al-Qur’an 10: 63

([14]) القرآن 1/ 6-7.

Al-Qur'an 1 / 6-7

([15]) القرآن 1/ 2-5.

Al- Qur'an 1 / 2-5

([16]) القرآن 1/ 6-7.

Al- Qur'an 1 / 6-7

([17])الرازي، (مفاتيح الغيب)، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ. دار إحياء التراث العربي – بيروت، 218/1. السيد عبد الفتاح حجاب، من بدائع النظم القرآني، مطبعة الجندي، القاهرة، ص: 88. الخطابي، والرماني، والجرجاني: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة.ص:27.

Alraazi, (mfatih alghyb), altibeat alththalithat - 1420 h, dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut, 1/218. alsyd Abdul fattah hijaba, min bidayie alnazam alquranii, mutbaeat aljindi, alqahirat, p: 88. alkhatabi, walrummani, waljurjani: thlath-u- rasayil fi 'iiejaz alqurani, tahqiq: muhammad khalf allah and muhammad zaghlul salam, dar almuearif, cairo.s:27.

([18]) حجاب السيد عبد الفتاح ، من بدائع النظم القرآني، مطبعة الجندي، القاهرة / 90.

Hajjab alsyd Abdul Fattah , min bidayie alnazam alqurani, mutbaeat aljundi, cairo, p / 90.

(19) الصابوني محمد علي، روائع البيان، دار السلام للطباعة والنشر، الطبعة الثانية عام 1417هـ - 1997م، 1/ 36.

Al-Sabuni Muhammad Ali, Rawa'i Al Bayan, Dar Al Salam for Printing and Publishing, Second Edition 1417 AH - 1997 AD, 1/36.

(20) الألوسي شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الطبعة الرابعة، 1405هـ - 1985م. دار إحياء التراث العربي، بيروت،1/ 80.

Al-Alousi Shihab Al-Din Mahmoud bin Abdullah Al-Husseini, Ruh almaani fi tafsir elquran elazim wassabelmathani, Fourth Edition, dar 'iihya' alturath alarabi, beirut,1/ 80.

([21]) القرآن 1: 3.

Al-Quran1/3.

(22)الطبري أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، [224 - 310 هـ]، جامع البيان في تأويل آي القرآن، التحقيق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة،الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000م.: 1/ 42.

Al-Tabari Abu Ja`far Muhammad Ibn Jarir Ibn Yazid Ibn Kaseer Ibn Ghaleb Al-Aameli, [224 - 310 AH], Jami` al-Bayan fi Tafsir al-Qur'an, ed by: Ahmad Muhammad Shakir, muasasat al-Resalah, first edition, 1420 AH - 2000 AD, 1/42.

(23)الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد، (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، ضبط وتصحيح: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ - 1995م.: 1/ 45.

Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Jarallah Mahmoud ibn Amr bin Ahmed, (alkashaf an haqayiq ghawamid altanzil wa uyun al'aqawil fi wujuh altaawil), Correction: Muhammad Abd al-Salam Shaheen, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, first edition, 1415 AH - 1995 AD .: 1/45 .

(24) الأحمدي، عبد الله بن سليمان (المأثور في تفسير سورة الفاتحة)، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى عام 1413هـ - 1993م،/ 83-88.

Al-Ahmadi, Abdullah bin Suleiman, (almathur fi tafsir surat ulfatiha), Dar Taibah, Riyadh, first edition 1413 AH - 1993 AD, / 83-88.

(25)العمادي أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ) (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1/ 8.

Al-Emadi Abu Al-Saud Muhammad bin Muhammad bin Mustafa, ('irshad ulaql alsalim 'ilaa mazaya alkitab alkarim), dar 'iihya' alturath alarabii - bayrutu, 1/ 8.

([26]) القرآن 1: 1.

Al-Quran1/1.

([27]) القرآن 1: 2-4.

Al-Quran1/2-4.

([28])الألوسي شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الطبعة الرابعة، 1405هـ - 1985م. دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1/89.

Al-Alousi Shihab Al-Din Mahmoud bin Abdullah Al-Husseini, Ruh almaani fi tafsir elquran elazim wassabelmathani, Fourth Edition, dar 'iihya' alturath alarabi, Beirut, 1/89.

(29) محمد محمد أبو موسى (خصائص التراكيب)، دار التضامن، مكتبة وهبة، الرياض، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1996م. ص: 201.

Muhammad Muhammad Abu Musa (khsayis altarakiba), Dar Al-Tadamun, Wahba Library, Riyadh, first edition, 1417 AH - 1996 AD. P: 201.

([30])العمادي أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ) (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت: 16/1.

Al-Emadi Abu Al-Saud Muhammad bin Muhammad bin Mustafa, ('irshad ulaql alsalim 'ilaa mazaya alkitab alkarim), dar 'iihya' alturath alarabii - bayrutu, 1/16.

([31])الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد، (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، ضبط وتصحيح: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ - 1995م: 1/ 29.

Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Jarallah Mahmoud ibn Amr bin Ahmed, (alkashaf an haqayiq ghawamid altanzil wa uyun al'aqawil fi wujuh altaawil), Correction: Muhammad Abd al-Salam Shaheen, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, first edition, 1415 AH - 1995 AD, 1/29.

(32)القزويني، الخطيب (الإيضاح) شرح الدكتور محمود عبد المنعم الخفاجي، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الخامسة، 1400هـ- 1980م. : 229/1.

Al-Qazwini, Al-Khatib (al'iidah) , explained by Dr. Mahmoud Abdel-Moneim Al-Khafaji, Lebanese Book House, Fifth Edition, 1400 AH - 1980 AD. : 1/229.

(33)الأندلسي، محمد بن يوسف المعروف بأبي حيان الغرناطي، (البحر المحيط)، دار الفكر، بيروت، 1412هـ - 1992م. 40/1.

Andalusian, Muhammad bin Yusuf, known as Abu Hayyan al-Gharnati, (albahr almuhit) , Dar Al-Fikr, Beirut, 1412 AH - 1992 AD. 1/40.

(34)محمد محمد أبو موسى (البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري)، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، 1408هـ - 1988م. ص: 340.

Muhammad Muhammad Abu Musa (albalaghat alquraniat fi tafsir alzamkhshari), Wahba Library, Cairo, second edition, 1408 AH - 1988 CE. P: 340.

(35)العلوي، يحيى بن حمزة اليمني، (الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز)، ضبط وتدقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ - 1995م. ص: 234-235.

Al-Alawi, Yahya bin Hamzah Al-Yamani, (Altiraz almutadamin li'asrar albalaghat waeulum haqayiq al'iiejaza), Audited by: Muhammad Abd al-Salam Shaheen, Dar al-Kutub al-Ulmiyyah, Beirut, first edition, 1415 AH - 1995 CE. P: 234-235.

([36]) انظر: الكشاف: 44/1. وروح المعاني: 1/ 88. وتفسير أبي السعود: 26/1.

alkashaf: 1/44. Ruh ulmaany: 1/ 88. Tafsir 'abi alsuad: 1/26.

([37]) القرآن 1/ 6-7.

Al-Quran1/6-7.

(38)البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن أبي بكر (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، تخريج: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، عام 1415هـ - 1995م. 1/ 18.

Al-Buqai, Burhan al-Din Abu al-Hasan Ibrahim bin Abi Bakr (nazamu aldurar fi tanasub-e-alaayate wa alsuwar), Takhreej by: Abd al-Razzaq Ghaleb al-Mahdi, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, first edition, 1415 AH - 1995 AD 1/18.

([39])الألوسي شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الطبعة الرابعة، 1405هـ - 1985م. دار إحياء التراث العربي، بيروت: 1/ 97.

Al-Alousi Shihab Al-Din Mahmoud bin Abdullah Al-Husseini, Ruh almaani fi tafsir elquran elazim wassabelmathani, Fourth Edition, dar 'iihya' alturath alarabi, Beirut, 1/97.

([40]) المرجع نفسه.

Ibid

(41)ابن الأثير (المثل السائر)، تحقيق: الحوفي وطبانة، مطابع الفرزدق، الرياض، الطبعة الثانية، 1403هـ- 1983م. : 2/ 184.

Ibn Al-Atheer (Almathal alsayr), edited by: Al-Hofi and Tabana, Al-Farazdaq Press, Riyadh, second edition, 1403 AH - 1983 AD. 2/184.

([42]) القرآن 26: 77-80.

Al-Quran26/77-80.

([43]) القرآن 72: 10.

Al-Quran72/10.

([44])العمادي أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ) (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت:1/ 327.

Al-Emadi Abu Al-Saud Muhammad bin Muhammad bin Mustafa, ('irshad ulaql alsalim 'ilaa mazaya alkitab alkarim), dar 'iihya' alturath alarabii – bayrutu, 1/327.

([45]) نفس المرجع.

Ibid

(46)الشوكاني (فتح القدير)، تحقيق: يوسف الغوش، دار المعرفة، الطبعة الرابعة عام 1428هـ - 2007م. : 1/389.

Al-Shawkani (Fatah Al-Qadeer), edited by: Yusef Al-Ghosh, House of Knowledge, fourth edition, 1428 AH - 2007 AD. : 1/389.

(47)البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (المتوفى: 685هـ) (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ: 1/ 146.

Al-Baidawi, Nasir al-Din Abu Saeed Abdullah bin Omar bin Muhammad al-Shirazi (Anwar al-Tanzil wa Asrar al-Ta'wil), investigator: Muhammad Abd al-Rahman al-Maraashli, dar 'ihya' alturath alarabi- Beirut, Edition: First - 1418 AH: 1 / 146.

([48])الألوسي شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الطبعة الرابعة، 1405هـ - 1985م. دار إحياء التراث العربي، بيروت: 1/ 70.

Al-Alousi Shihab Al-Din Mahmoud bin Abdullah Al-Husseini, Ruh almaani fi tafsir elquran elazim wassabelmathani, Fourth Edition, dar 'iihya' alturath alarabi, Beirut, 1/70.

(49)ابن عاشور الطاهر (التحرير والتنوير)، مؤسسة التاريخ، بيروت، 1420هـ - 2000م. : 3/142.

Ibn Ashour Al-Taher (Al-Tahrir waltanwir), muasasat altaarikh, Beirut, 1420 AH - 2000 AD. : 3/142.

([50])الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد، (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، ضبط وتصحيح: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ - 1995م: 1/ 408.

Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Jarallah Mahmoud ibn Amr bin Ahmed, (alkashaf an haqayiq ghawamid altanzil wa uyun al'aqawil fi wujuh altaawil), Correction: Muhammad Abd al-Salam Shaheen, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, first edition, 1415 AH - 1995 AD, 1/408.

([51]) القرآن 4: 75.

Al-Quran 4/75.

([52])العمادي أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ) (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت: 2/ 113.

Al-Emadi Abu Al-Saud Muhammad bin Muhammad bin Mustafa, ('irshad ulaql alsalim 'ilaa mazaya alkitab alkarim), dar 'iihya' alturath alarabii – bayrutu, 2/113.

([53])المرجع نفسه.

Ibid

([54]) القرآن 4: 75.

Al-Quran, 4/75.

([55]) القرآن 2: 250.

Al-Quran, 2/250.

([56])العمادي أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ) (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت:: 1/ 305.

Al-Emadi Abu Al-Saud Muhammad bin Muhammad bin Mustafa, ('irshad ulaql alsalim 'ilaa mazaya alkitab alkarim), dar 'iihya' alturath alarabii – bayrutu, 1/305.

([57])ابن عاشور الطاهر (التحرير والتنوير)، مؤسسة التاريخ، بيروت، 1420هـ - 2000م. 5/ 419.

Ibn Ashour Al-Taher (Al-Tahrir waltanwir), muasasat altaarikh, Beirut, 1420 AH - 2000 AD. 5/419.

(58)الخفاجي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصري الحنفي (المتوفى: 1069هـ) (حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي)، دار النشر: دار صادر – بيروت، 2/ 331.

Al-Khafaji Shihab al-Din Ahmad bin Muhammad bin Omar al-Masri al-Hanafi, (Hasheyat ulshihab alaa Tafseer albaydawi), dar sadir - bairut, 2/ 331.

([59]) القرآن 3: 8.

Al-Quran, 3/8.

(60)البغوي محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود[المتوفى 516 هـ]، (بمعالم التنزيل)، التحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، 1417 هـ - 1997 م. : 2/ 11.

Albaghawi, muhyi alsunnat, 'abu muhamad alhusain bin masud, (Maalim altanzil), Tahqiq: Muhammad Abduallh alnamer - uthman jumua damiria - sulaiman muslim alharash, dar tayiba linnashr wa tawzie, 4th ed, 1417 AH - 1997 AD. : 2/ 11.

([61])البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن أبي بكر (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، تخريج: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، عام 1415هـ - 1995م. 2/ 26.

Al-Buqai, Burhan al-Din Abu al-Hasan Ibrahim bin Abi Bakr (nazamu aldurar fi tanasub-e-alaayate wa alsuwar), Takhreej by: Abd al-Razzaq Ghaleb al-Mahdi, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, first edition, 1415 AH - 1995 AD, 2/26.

([62]) القرآن 46: 15.

Al-Quran, 46/15.

([63]) القرآن 14/ 34.

Al-Quran, 14/34.

(64)الخضري محمد الأمين (الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ (دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن)، ، مطبعة الحسين الإسلامية، الطبعة الأولى، عام 1413هـ - 1993م. ص: 89.

Al-Khudari Muhammad Al-Amin, (al'iejaz albayani fi seyagh al'alfaz dirasatun tahliliatun lil'iifrad waljame fi alquran), Al-Hussein Islamic Press, First Edition, 1413 AH - 1993 AD. P .: 89.

([65])الألوسي شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الطبعة الرابعة، 1405هـ - 1985م. دار إحياء التراث العربي، بيروت، 19/ 180.

Al-Alousi Shihab Al-Din Mahmoud bin Abdullah Al-Husseini, Ruh almaani fi tafsir elquran elazim wassabelmathani, Fourth Edition, dar 'iihya' alturath alarabi, Beirut, 19/180.

([66]) القرآن 27/ 19.

Al-Quran, 27/19.